(قوانين القرآن في الظُّلم والظَّالمين)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ سيّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خيرُ نبي اجتباه، هدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدِّين كلِّه ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللَّهم صلِّ على سيّدنا محمَّد وعلى أله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد:

عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير:

يقول الله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران:137].

وقال ربنا: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر:37].

أيُّها الإخوة:

في القرآن قوانين ونواميس تحكم الكون كلَّه، لا تتَبدَّل ولا تتغير، ولا تُحابي ولا تُماري، مَنْ فعل أسبابها نال نتائجها...

وإذا قرأنا قوانين القرآن وفهمناها وعملنا بها نجونا وسلمنا في الدُّنيا وفي الآخرة، أفراداً وأسراً وجماعاتٍ، وإنْ خالفنا هذه القوانين نالتنا نتائجها.

عنوان خطبة اليوم:

(قوانين القرآن في الظُّلم و الظَّالمين)

الظُّلم: هو وضع الشَّيء في غير موضعه، أو هو مجاوزة الحق، أو هو منع أهل الحقوق حقوقهم، وهو خلاف العدل.

والظُّلم ظلمان: أن تظلم نفسك أو أن تظلم الآخرين...

وظلم النَّفس بالفسق والفجور والخروج عن طاعة الله، وظلم الآخرين بالاعتداء على أموالهم أو دمائهم أو أعراضهم...

وفي أسماء الله تعالى التِّسعة والتِّسعين أسماءٌ كثيرةٌ مشتقة: فاسم الله تعالى الرَّحيم مشتق من الرَّحمة، والكريم مشتق من الكرم، والغفور مشتق من المغفرة، والسَّتار مشتق من السَّتر، والودود مشتق من الود وهكذا...

لكن الله تعالى لَمَّا أراد أن ينفي عن نفسه الظُّلم لم يسم نفسه العادل لكنَّه سمَّى نفسه العدل. والعدل مصدر؛ والمصادر في اللُّغة تدلُّ على الثَّبات والدَّوام، يعني أنَّ مصدر العدل هو الله وأنَّ العدل المطلق تجده عند الله... قال ربُّنا في الحديث القدسي: ((**يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي...**))[1]. وقال: ﴿ . .وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف:49].

وكلُّ هذا إشارات وعبر للمؤمن ألَّا يكون من الظَّالمين وألَّا يكون مع الظَّالمين.

ورد الظُّلم واشتقاقاته في القرآن الكريم في مئتين وتسعة وثمانين مرَّة. وإني قرأتُ في هذه المواضع أربعة قوانين إلهية في الظُّلم والظَّالمين.

القانون الأوَّل: لا يفلح الظَّالمون.

قرار لا يُنقض ولا يُطعن به، ولا يحابي أناساً ولا يميل لآخرين، لا يفلح الظَّالمون.

مهما علا الظَّالم، مهما ارتقى، مهما أمر، مهما نهى، مهما امتطى فإنَّه لا يفلح، لأنَّ الله أعادها أربع مرات في القرآن الكريم: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام:21].

مرَّتين في الأنعام، وثالثة في يوسف، ورابعة في القصص، والفلاح في اللُّغة: يعني الفوز والنَّجاة والبقاء في النَّعيم. مستحيل أن يفوز ظالم، ومستحيل أن ينجو ظالم، ومستحيل أن يبقى ظالم في نعيم، ويوم المظلوم على الظَّالم أشدُّ من يوم الظَّالم على المظلوم.

---

[1]() أخرجه مسلم في "صحيحه" رقم (2577).

قد نرى الظَّالم يعلو يوماً لكنَّه سيسقط دوماً، قد نراه يرتقي اليوم لكنَّه سيهبط غداً، قد نراه يزهو في الدُّنيا لكنَّه سيهوي في الآخرة ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام:21]. فراجع نفسك كي لا تكون ظالماً لأحد لأنَّ القرار صدر بأنَّ الظَّالم لا يفلح.

رُوي أنَّ أحد الأكاسرة بنى قصراً على دجلة ولما انتهى من بنيانه وفرشه راح ينظر إلى جماله وحوله حاشيته وكبراؤه، هنا قاعة الشَّرف، وهنا قاعة العرش، وهنا قاعة الحريم، وهذه القاعة للطَّعام، وهذه للاستقبال وهكذا...

ويفتح النَّوافذ نافذةٌ تطل على المدينة، وثانية تطل على الجبل، وثالثة على البساتين والحدائق، ورابعة على النَّهر...أطل كسرى من إحدى النَّوافذ فوجد على شاطئ دجلة وعلى مرمى نظره كوخاً متواضعاً فغضب وقال: كيف تسمحون لكوخ حقير أن يقيم بجانب قصري؟ ثمَّ أمرهم بإزالته ورميه في النَّهر ففعلوا...

في المساء أتت امرأة عجوز كانت تحتطب وتعمل لكسب عيشها، أتت تفتش عن كوخها ولَمَّا لم تجده قال لها النَّاس عمَّ تفتشين!؟ قالت: أفتش عن كوخي ليس لي سواه... قالوا: لقد ألقاه كسرى في النَّهر اليوم... فنظرت إلى القصر العامر والدُّموع تنهمر في عينيها ثمَّ رفعت رأسها إلى السَّماء وقالت: يا ربّ أنا كنت غائبة فأين كنت أنت!!؟ فأمر الله سبحانه فخسف بالقصر ومن فيه.

عن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ((يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: اشْتَدَّ غَضَبِي عَلَى مَنْ ظَلَمَ مَنْ لا يَجِدُ نَاصِرًا غَيْرِي))[2].

القرار صدر لا يُفلح الظَّالمون... القانون الأوَّل في الظُّلم والظَّالمين: لا يفلح الظَّالمون..

القانون الثَّاني: هلاك الأمم بظُلَّمها.

من سُنن الله المطردة إهلاكه الأمم إذا عمَّ فيها الظُّلم. إذا ظلم القوي الضَّعيف، إذا اعتدى الغنيُّ على الفقير، إذا بغى القادر على العاجز، إذا طغى الأمير على الرَّعية، إذا تحكَّم صاحب الجاه بمن لا جاه له ولم يأتمروا بينهم بالمعروف ولم يتناهوا بينهم عن المنكر فقد أشرفت هذه الأمَّة على الهلكة. وفي بيان هذه السُّنة آيات كثيرة في كتاب الله العزيز: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا

---

[2]() أخرجه الطبراني في"المعجم الصَّغير" [1/61].

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:45]. ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ [يونس:13].

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الأنبياء:11].

ولعلَّ سائلاً يقول:

لكنَّنا نرى كثيراً ظالماً يتمادى ولم يهلكه الله!!؟ نرى أمَّةً تطغى ولا يقهرها الله فأين هذا القانون!!؟

الجواب في سورة الأعراف، قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف:34].

والجواب في سورة إبراهيم، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ﴾ [إبراهيم:42].

فهلاك الأمم واقع بظُلْمها لكن بأجل يحدده الله تعالى.

القانون الثَّالث: تبقى الدُّول مع الكفر، لكنَّها لا تبقى أبداً مع الظُّلم.

قد يبقي الله أمَّة كافرةً لا تؤمن به لكنَّها تتناصف، لكنَّه لا يرضى أبداً أن يبقي أمَّة يشيع فيها الظُّلم.

هذه السُّنة جاءت في سورة هود، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ -يعني بكفر- وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:117].

ليست من عادة الله ولا من سننه ولا من قوانينه أن يهلك أمَّة أهلها مصلحون ولو كانت كافرة. وما كان ربك ليُهلك القرى بكفر إذا كان أهلها مصلحون في المعاملات فيما بينهم، لكن إذا ظلم بعضهم بعضاً أهلكهم.

قال القرطبي في تفسير الآية: (إنَّ الله تعالى لم يكن لِيُهلكهم بالكفر وحده حتَّى يضاف إليه الفساد). وقال الطَّبري: (لا يُهلكهم إذا تناصفوا وإن كانوا مشركين وإنَّما يهلكهم إذا تظالموا).

ومن هنا قالوا: العدل أساس الملك. وقالوا: لاشيء أسرعُ في فساد الأرض ولا أفسدُ لضمائر الخلق من الظُّلم.

القانون الرَّابع: يُمهل الله الظَّالم ولا يُهْمِله.

قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ((إِنَّ اللهَ يُمْهِلُ الظَّالِمَ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَنْفَلِتْ))، ثُمَّ تَلَا: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود:102]))[3].

قال الله تعالى في معنى هذا القانون: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ. . ﴾ [النَّحل:61].

العباد يظلمون ولو آخذهم الله مباشرةً لَمّا ترك عليها من دابَّة ولكن يؤخرهم لعلَّهم يتوبون ويرجعون عن ظُلمهم فإنْ أصرُّوا أخذهم في أجل مسمَّى عنده. إنَّ الله يُمْهِل الظَّالم ولا يُهْمِله.

أيُّها الإخوة:

هذا ما قرأت من قوانين القرآن في الظُّلم والظَّالمين:

1) لا يفلح الظَّالمون.
2) هلاك الأمم بظُلَّمها.
3) تبقى الدَّولة مع الكفر ولا تبقى مع الظُّلم.
4) يُمْهِل الله الظَّالم ولا يُهْمِله.

الآن أعرض عليكم سرداً صوراً من الظُّلم لنتجنبها، حتَّى لا تنزل بنا قوانين الظُّلم والظَّالمين:

1. المحاباة في تطبيق القانون ظلم.
2. معاونة الظَّالم ظلم.
3. رفع الأسعار بدون مبرر ظلم.
4. تغيير مواصفات البضاعة المستوردة ظلم.
5. تأخير معاملات المراجعين ظلم.
6. عدم الإنكار على الظَّالم ظلم.
7. تبديل الشَّهادات وتزوير الحقائق في القضاء ظلم.
8. عدم وفاء المهندس بالشُّروط أو مخالفته متعمِّداً مواعيد التَّسليم ظلم.
9. الاقتراض من النَّاس وعدم الأداء مع توفر السُّيولة ظلم.
10. خروج المرأة عن طاعة زوجها ظلم.
11. إرهاق الشَّباب بالمهور ومتطلبات الزَّواج.

---

[3]() أخرجه ابن حبان في "صحيحه" [11/578].

12. عدم إعداد المحامي مذكِّرة مناسبة للمرافعة عن موكِّله أمام القضاء ظلم.
13. الاعتداء على أموال النَّاس وإتلافها ظلم.
14. تأخرك عند قدومك إلى معملك أو خروجك قبل إتمام العمل ظلم وقد اتفقت مع صاحب العمل على مواعيد محددة.
15. ارتكاب المحرمات ظلم.
16. قتل النَّفس التي حرَّم الله بغير حق ظلم.
17. حرمان البنات من الميراث ظلم.
18. عدم المساواة بين الأولاد في العطاء دون مبرر ظلم.

هذه بعض صور سردتها لكم في الظلم نخشى إن شاع واستمرأه النَّاس أن تنزل بنا قوانين القرآن في الظلم والظالمين .

قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: **((اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))**[4].

وقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: **((مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ))**[5].

والحمد لله رب العالمين

---

[4]() أخرجه مسلم في "صحيحه" رقم (2578).

[5]() أخرجه البخاري في "صحيحه" رقم (2449).